**أهمّيّة الحرس الثوري وقوّات التعبئة الشعبية**

**المكان: مدينة كرمانشاه**

**الزمان: 1390/7/22ش. 1432/11/16هـ. 2011/10/14م.**

**المناسبة: زيارة الإمام الخامنئي لمحافظة كرمانشاه**

**الحضور: حشود من قوات التعبئة بمحافظة كرمانشاه في اليوم الثالث لزيارته هذه المحافظة**

**بسم اللّه الرّحمن الرّحيم**

**والحمد للّه ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا ونبيّنا أبي القاسم محمّد، وعلى آله الأطيبين الأطهرين المنتجبين، سيّما بقية اللّه في الأرضين.**

**إنني منذ مدّة مديدة أعرف منطقة كرمانشاه وأهاليها معرفة جيّدة عن بعد، وعن قرب أيضاً، غير انني على مدى هذه الأيام القليلة التي وفّقني الله فيها لمقابلتكم أنتم الأهالي الأعـزاء في مختلـف القطاعات، وتسنّى لي فيها دراسة الأوضاع وملاحظة السلوكيات، ازددت محبّـة لكرمانشـاه وأهاليها. نشكر الباري تعالى لما غمر به هؤلاء الناس الطيّبين، المؤمنين، الصادقين، وذوي المروءة والشهامة والرجولة، من توفيق وهداية. وبحمد الله قد ورث الجيل الجديد الصاعد لهذه المنطقـة وهذه المحافظة تلك الصفات الإيجابية والحميدة لأسلافهم وما خلّفوه لهم من سجايا اجتماعيـة. والأهم من ذلك هو أن فكر الثورة، وتيّار الثورة، والروح الثورية، ومنطق الثورة، ولغة الثورة، حيّة نابضة في هذه المحافظة.**

**كان جدول أعمال اليوم مفيداً. ونحن نشكر الإخوة الكرام الذين خطّطوا ورتّبوا لهذه الجلسة. لقد كان نشيدهم الجماعي جيّداً وكذلك ما عرضوه من تمارين الرياضة التراثية القديمة. إنّـني أدعو بكل جدّ جميع الشباب الذين لديهم ميول رياضية، ولديهم الاستعداد لممارسة الرياضـة، أدعوهم إلى أن يكرّسوا في أنفسهم هذا الشعور بالقدرة. وعلى أبناء الجيل الحالي أن يحرصـوا**

على تأهيل أنفسهم بدنياً إلى جانب ما وفّرته لنا الثورة من تقدّم معنوي، وتقدّم فكري، وغـــير ذلك من الأُمور التي سأعرضها على مسامعكم. فالسلامة الجسمية والقوّة البدنية أمر ضـــروري للرجال من أصحاب التوجهات المعنوية، ولذوي الفكر، ولكلّ من يحمل أهدافاً كبرى.

اليوم موضوع البحث في جلستنا هذه هو الحرس الثوري وقوّات التعبئة الشعبية. فالحرس الثوري بصفته مؤسسة وفرعاً انبثق بفخر مِن جذور هذه الثورة وهذا النظام، وكذا قوى التعبئة الشعبية باعتبارها حادثة فذّة من الأحداث الباهرة للثورة، ينبغي أن يكونا موضع اهتمام.

من الأُمور الضرورية في كلّ حركة عامّة وفي كلّ نهضة ان توضع بناءً على الأفكار والمتبنّيـــات الأساسية لتلك النهضة أو لتلك الحركة «صياغات اصطلاحية» خاصّة بها من جهة، وأن تكون لها «تشكيلاتها الخاصّة» بها من جهة أُخرى. فعندما يُطرح فكر جديد ــ مثل فكـــر الحكومـــة الإسلامية والنظام الإسلامي والصحوة الإسلامية ــ فإنّه يلقي إلى المجتمع مفاهيم جديدة. ولهذا ينبغي أن تكون لهذه الحركة ولهذه النهضة ما يناسبها من اصطلاحات. فهي إن استعارت لنفسها مفردات واصطلاحات أجنبية، فإن الأفكار تتشابك، ويبقى الموضوع طي الغموض.

نحن نقرّ مبدأ الديمقراطية وسيادة الشعب، ونقرّ مبدأ الحرية أيضاً، إلا أننا لا نقبل مبدأ الليبرالية الديمقراطية. فرغم أنّ المعنى اللغوي لـــ «الليبرالية الديمقراطية» هو ذات معنى الحريـــة، وذات معنى الديمقراطية، إلا أن مصطلح الليبرالية الديمقراطية اقترن في الاصطلاح الشائع لدى جميـــع الشعوب وفي أذهان وثقافت الشعوب بمجموعة من المفاهيم التي نشمئز منها، ولا نريد وضعها على مفاهيمنا النقية السليمة الصالحة الخالصة. ولهذا فنحن نضع تسمية جديدة لنظامنا المنشود لدينا ونقول: الديمقراطية الإسلامية، أو سيادة الشعب إسلامياً، أو الجمهورية الإسلامية؛ أي أن نختار تسميةً جديدة. ولا نستخدم مصطلح الاشتراكية مثلاً في ما يخص تقسيم الثـــروة بشـــكل صحيح وانتفاع الجميع من الثروات العامّة، وهو واحد من الأهداف العليا للإسلام، رغـــم أنّ الاشتراكية من حيث معناها اللغوي دالّة على هذا المعنى، غير انّها مقرونـــة بمفـــاهيم أُخـــرى نستهجنها، وتداخلت مع وقائع تاريخية واجتماعية نرفضها نحن ولا نستسيغها. ولهذا فنحن قـــد طرحنا بدلاً من الاصطلاحات التي كانت متداولة لدى اليساريين والماركسيين وغيرهم، طرحنا وأوجدنا اصطلاح «الاستكبار» واصطلاح «الاستضعاف» واصطلاح «النظام الشعبي». وحين

أقول طرحنا وأوجدنا، فأنا أعني ان الثورة قد طرحت ذلك، وليس معنى ذلك ان أشخاصاً معيّنين كان لهم في هذا المجال تأثير قطعي وحتمي.

وهكذا الحال في ما يخص المأسسة. فحين تظهر إلى الوجود حركة وثورة؛ فلا بدّ لها أن تكوّن لنفسها أجهزتها التنفيذية، وهي عبارة عن تلك المجموعة من المؤسسات التي تتولّى تنفيذ تلك الأهداف وتطبيقها على أرض الواقع ــ وإحدى تلك المهام هي أن تتولى تلك الأجهزة تغيير المجتمع، والجانب الآخر هو أن تؤسس الأجهزة المتناسبة مع غاياتها وتطلّعاتها. إلا أن كلا هذين الجانبين صعبان؛ وكلاهما يدخلان في عداد الأعمال والمهام الصعبة. بيد أن الثورة الإسلامية أنجزت كلا المهمّتين. ومن ذلك في المجال العسكري على سبيل المثال أن الجيش الذي كان من إعداد وصياغة ثقافة أُخرى ونظام آخر وأُناس آخرين، تحوّل إلى جيش ثوري، وإلى جيش مؤمن ومتديّن، وقد تغيّرت مكوّناته أيضاً، كما تغيّرت أيضاً سياقاته وأساليبه، وتغيّرت كذلك شعاراته. وعلى العموم فقد حصل فيه تغيير وتبدّل. وإلى جانب ذلك انبثقت مؤسسة فتية وجديدة من بين أحضان الثورة؛ وتلك هي حرس الثورة الإسلامية؛ ولو لا هذه المؤسسة الثانية، لما كان بالإمكان حصول تلك الاولى. وهذا طبعاً من ابداعات الثورة، وكان إمامنا الخميني الكبير مظهر تطبيق هذه الابداعات والفهم الدقيق لحاجة المجتمع وحاجة المستقبل، وكان يتولّى ذلك بقوّة وحزم ومثابرة.

وأما بالنسبة إلى هذه الحركة الكبرى وهي تأسيس قوات التعبئة الشعبية؛ فإن هذه المبادرة التي أقدم عليها الإمام الخميني بتأسيسه لقوات التعبئة الشعبية، ــ والإمام الخميني هو الذي دعا إلى تنظيم القوى الشعبية، وفكرة تأسيس جيش العشرين مليوناً كان الإمام الخميني هو الذي طرحها ــ تمثّل واحدة من تلك الإنجازات الإعجازية للثورة، وقد حقّقها الإمام الخميني.

كنت قد قُلت بالأمس أنه حينما يكون هناك نظام، وبلد، وشعب ينادي بمثل هذه الأهداف الكبرى التي تبدو في الظاهر وكأنّها بعيدة المنال ــ وهي مقارعة الظلم العالمي، ومجابهة الهيمنة الدولية للقوى الكبرى، والتصدي لنظام الهيمنة، ومناهضة الاستضعاف والاستكبار؛ كليهما معاً ــ فمن الطبيعي أن يكون له أعداء أقوياء وأعداء كبار، وان تأتي القوى الكبرى إلى ساحته بهدف مواجهته. ولهذا يُفترض به أن يوفّر لذاته الاستعدادات اللازمة لهذا الغرض. ومن أركان هذه الاستعدادات إعداد قوات التعبئة الشعبية.

قال الإمام الخميني إنه حينما يكون لدى شعبٍ ما عشرون مليون إنسان متأهب للمنازلة بالسلاح، فلن تطمع أيّة قوّة في العالم في السيطرة عليه؛ لأنّها تدرك أن ثمن الهجوم على مثل هذه الجماعة يكلّفها غالياً. وانطلاقاً من هذه الرؤية طرح الإمام الخميني فكرة جيش العشرين مليوناً، طبعاً فكرة العشرين مليوناً طرحت في ضوء سكّان البلد الذي كان عدده يومذاك يناهز الأربعين مليوناً. ثم انّنا قلنا لاحقاً إن هذا الجيش يجب أن يكون «جيش عشرات الملايين».

هذا هو واقع القضية. وهذا لا يعني بطبيعة الحال عسكرة المجتمع وأن أبناء الشعب يصبحون كلّهم عسكراً ويحملون البنادق في أيديهم، وإنما يعني أن يصبح الجميع متأهّبين للدفاع، ومستعدّين للقتال. إنّ الشعب الذي يكون كل أبنائه على أهبة الاستعداد للقتال، لن يُدحر أبداً. وكل مؤامرة ضد مثل هذا الشعب الذي يكون على هذا المستوى من الاستعداد ستنتهي إلى الاحباط. وكان الإمام الخميني هو الذي طرح هذه الفكرة الجديدة في نوعها؛ إذ أعلن عن تشكيل قوات التعبئة الشعبية في شهر كانون الأول من عام **1979**. وبقي سماحته إلى آخر عمره ينظر إلى قوات التعبئة الشعبية بمثل هذا الاهتمام. ومن التعابير التي كان يستعملها سماحته لوصف هذه القوات إنه كان يقول: «قوات التعبئة مدرسة العشق»، و«قوات التعبئة مدرسة الشاهدين والشهداء المجهولين»، و«قوات التعبئة جيش الله المخلص». وهذا دليل على المعرفة الصحيحة لحاجة هذا البلد وهذا الشعب وهذا النظام في الحاضر والمستقبل. وهذا الشيء ممّا تبقى الحاجة إليه قائمة على الدوام، فمثل هذه الحاجة ستبقى قائمة إلى ما بعد خمسين سنة أُخرى.

من الطبيعي أن قوات التعبئة التي تأسّست في عام **1979** كانت تلبي متطلبات ذلك الوقت ــ التي كانت يومذاك حاجة ــ امّا اليوم فإن قوات التعبئة تلبّي متطلبات من نوع آخر. إذ أن القضايا المطروحة اليوم لم تكن مطروحة آنذاك. إنّ قوات التعبئة اليوم سبّاقة في مجال العلم، وفي مجال الابداع، وفي مجال التطوّر. وهذا أيضاً كان من حنكة الإمام الخميني. ففي المدوّنة التي كتبها سماحته في شهر كانون الأول من عام **1988** ــ أي في أواخر عمره الشريف، وتقريباً بعد عشر سنوات من تلك المدوّنة الاولى ــ دعا طلبة الجامعات وطلاب العلوم الدينية إلى تأسيس قوّات تعبئة؛ قوّات تعبئة لطلبة الجامعات، وقوات تعبئة لطلبة العلوم الدينية. وهذا ممّا يدل على أن حاجة البلد إلى الروح التعبوية، تمتدّ إلى جميع المجالات، ومنها الميادين المتعلّقة بنطاق الحوزات العلمية، والميادين المتعلّقة بنطاق الجامعات. اليوم في الحوزات العلمية يتواجد الفضلاء التعبويون،

كما يتواجد أيضاً علماؤنا الكبار التعبويون، وهم يتفاخرون بهذا. وكان سماحة الإمام الخميني يتفاخر بذلك أيضاً. إذ كان سماحته مع كل ما كانت له مكانة جليلة، يقول إنّ مفخرتي انني تعبوي. وهكذا الحال في الجامعات أيضاً. ففي الجامعات هناك ظاهرة التعبئة الطلابية، وتعبئة الأساتذة، التي تُعدُّ ظاهرة ريادية وطليعية.

في كلّ المجالات لدينا اليوم قضايا وأُمور لم تكن موجودة يومذاك. ففي ذلك اليوم لم يكن هذا التقدّم العلمي الموجود اليوم. في بداية الثورة كانت كل جهود وهموم وهواجس النظام وقوات التعبئة والحرس الثوري وكلّ مسؤولي البلد والثورة، منصبّة على حفظ هذا الكيان الفتيّ؛ ورعاية هذه النبتة التي نمت توّاً في أرض هذا البلد، لكي لا يدعوها تُجتثّ وتُزال. هنا في غرب البلد، وفي المنطقة الجنوبية الشرقية من البلد، وفي المنطقة الشمالية الشرقية من البلد، وفي المنطقة الجنوبية الغربية من البلد، وفي مناطق مختلفة أُخرى، أثار المستكبرون، وأعداء الثورة، وأعداء الإسلام، وأعداء إيران، أحداثاً متعدّدة. يومها هرع إلى الساحة الشبان المؤمنون والموالون للثورة، بروح تعبوية تلقائية، وقدّموا أنفسهم قرابين من أجل حماية الثورة، وقد ذكرت بالأمس عند لقائي بأُسَر الشهداء بعض الأمثلة منهم مِن أهالي كرمانشاه، كما أشرت إلى هذا في كلمتي في الأمس الأول؛ حيث كان المراقب يرى أن تلك الحركات التلقائية الشعبية التي ظهرت بعد شهر من انتصار الثورة، وأولئك الشبان المتحمّسين، كانوا ينطلقون من مدينة كرمانشاه هذه. هذه هي قوات التعبئة. إنّ حركة التعبئة حركة منبثقة من الايمان، ومن العشق، ومن الثقة بالنفس، ومقرونة بروح الابداع.

ينبغي ممارسة الابداع في جميع المجالات. كنت أنظر الآن إلى هذه الرياضة التراثية وهي الزورخانة. وحسب تعبير القدماء فإن هذه التمارين (نصف المقعّر) التي أجراها هؤلاء الرياضيون، كانت زاخرة بالإبداع. لقد رأينا في أيّام الشباب تمارين الرياضة التراثية (الزورخانة)؛ رأيناها مرّات ومرّات، وفي كلّ مكان، ورأينا كلّ أنواعها، فكانت كلّها من نمط واحد وثابت. وكان هذا النمط ذاته يتكرّر على الدوام وفي كلّ مكان. وكان هذا بطبيعة الحال لا ضير فيه، بل كان جيّداً أيضاً، بيد أنه كان خلواً من هذا التجديد. بينما نلاحظ اليوم أن هؤلاء الشبّان قد أخذوا بتلك الركائز الرياضية القديمة، ثمّ وشّحوها وطرّزوها ولوّنوها بأنواع وأشكال شتّى من الإبداع والجمالية، وصاغوا منها شيئاً بديعاً. وهذا طبعاً ابتكار. هذا في مجال الرياضة التراثية المعروفة

بالزورخانة. ولا ريب في أن هذا الابتكار ممكن في جميع المجالات الأُخرى؛ الابتكار في طريقة القيادة العسكرية، والابتكار في اسلوب الحرب، والابتكار في نوع الأدوات الحربية، والابتكار في نوع السياقات التنظيمية. وهذا يتعلّق طبعاً بما يخصّ عمل القوات المسلّحة. فإذا خرجنا من إطار عمل القوات المسلحة، هناك أيضاً الابتكار في نوع الدبلوماسية. إنّ ميدان الدبلوماسية الهائل مقرون بأنواع الحيل والشيطنة. إن ميدان الدبلوماسية هو مجال الشيطنة. وهو ما تلاحظونه بأنفسكم.

ونحن نشكر الله إذ انّه جعل أعداءنا ممّن لا يعون ما الذي ينبغي عليهم فعله؛ فهم يتّخذون اجراءً، ثمّ يجدون أنّهم قد اخطأوا، ووقعوا في مطبّ؛ ثمّ انّهم لا يتخذون عبرة من ذلك الخطأ، وإنما يعاودون ارتكاب ذلك الخطأ مرّة أُخرى. مثلما هو الحال بالنسبة إلى الكلام الذي يطلقونه في إعلامهم وفي تصريحاتهم،؛ يقولونه ويمارسونه. إنّ الميدان الدبلوماسي من هذا النوع من الميادين؛ فهو يتطلّب وعياً ومبادرة، ويستلزم نوعاً من الابتكار في المبادرة. وهذا كلّه ناتج عن هذه الروح الثورية التي نعبّر عنها باسم الروح التعبوية؛ فهي روح شابة، وإبداعية، وسبّاقة، وذات ثقة بنفسها.

وهكذا الحال في المجال الاقتصادي أيضاً، وكذا في مجال النشاط الانتاجي، وأيضا في مجال التطوّر العلمي والبحثي. وانطلاقاً من ذلك فإن المجال الذي نُطلق عليه كلمة التعبئة، وننشر الروح التعبوية ونوسّعها فيه، ليس مجالاً محصوراً ولا مقيّداً في حدود معيّنة، ولا ينحصر في الاطار العسكري فقط؛ فهناك الروح التعبوية في طلب العلم، والروح التعبوية في كسب الثروة، والروح التعبوية في العمل الدبلوماسي، والروح التعبوية في العمل السياسي، والروح التعبوية في العمل الإداري، والروح التعبوية في النظم؛ حيث ينطبق مفهوم التعبئة على كلّ هذه المجالات؛ والمعنى العام لكلّ ذلك هو التجديد، والإبداع، والإخلاص.

الركيزة الأساسية التي يقوم عليها العمل التعبوي هي الاخلاص. وأما صفة الجندي المجهول، فهي من الأوصاف التي أطلقها الإمام الخميني في قولته: «إنّ مدرسة التعبئة هي مدرسة الشاهدين والشهداء المجهولين». تعبير «الجندي المجهول» هنا يشير الى أن التعبوي لا يسعى وراء الجاه والشهرة. قال الشاعر: «في معتقدنا تجرّد العنقاء يبقى منقوصاً؛ ويبقى حبيس التسمية من لا يرنو نحو المحتوى»(1). أي انهم قد عملوا لوجه الله. وهذا مردّه إلى روح الثقة بالله واليقين ان الأجر

لا يضيع عنده. أنتم تعبدون الله في الخلوات وتناجونه بما في ضمائركم، ولا أحد يعلم بـــذلك، ولكنكم على ثقة بأنه تبارك وتعالى يرى، ويحسب لكم هذا العمل عبادة. والكرام الكـــاتبون لا يتركون هذه العبادة تذهب سدى وكأنّها لم تكن، كلا طبعاً، بل يسجّلونها في كتـــاب أعمالـــه عبادة، ويلقاها يوم «فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره»(2). وهكذا الحال تماماً في سائر الأعمـــال الاجتماعية؛ فأنت قد تقوم بعمل لوجه الله، أو تتخذ قراراً تريد به وجه الله، ولا يعلـــم بـــذلك أحد، وأنت لا تتباهى بعملك هذا أمام أحد، غير انّه تبارك وتعالى يعلمه ويكتبه لك. ومردّ هذا العمل هو الثقة بالله وحسن الظن به. حتّى لو افترضنا أن الآخرين لم يعلموا بما تفعله، فما هـــو مقدار الأجر الذي يقدّمه لنا الآخرون؟ وما مدى أهمية هذه الاجور الدنيوية في مقابـــل الأجـــر الإلهي؟ هكذا يفكّر التعبوي. ولذلك يخلص في عمله ويجعل عمله خالصاً لله. إنّ الاخلاص صفة من الصفات؛ فإن توفّر الاخلاص فسوف تتبدّد عند ذاك كلّ صور الأنانية وحبّ الذات ومـــا شابه ذلك؛ وستزول دواعي اكتناز الثروة لذاتها، ومدّ يد الاستجداء إلى هذا وذاك. إذ أن كلّ هذه الممارسات ناجمة عن الشرك؛ وأقصد هنا الشرك الخفي. وحينما يكون هناك اخلاص فلـــن يكون هناك شرك؛ لأن هذه الخصال ستتلاشى وتزول. هذه هي الروح التعبوية التي نتحـــدّث عنها. وهذه الروح يمكن أن تعبّر عن ذاتها وتنعكس في إدارة شؤون الدولة، وفي النظام العـــام للبلد، وفي تنظيم الشؤون العامّة للدولة، وفي مختلف النشاطات، وفي الأعمال الحكومية المتّبعة، وفي الأعمال والنشاطات الشخصية، بل وفي كلّ مكان.

طبعاً بالنسبة إلى القطاع العسكري والاستعداد العسكري هناك امتياز. فنحن حـــين نقـــول إنّ الروح التعبوية ينبغي أن تسود في كلّ مكان فذلك لا يعني أن نتناسى جيش العشـــرين مليونـــاً الذي دعا إليه الإمام الخميني ــ أو جيش عشرات الملايين، من بعد الإمام ــ كلا طبعاً؛ فذلك له ضرورته. ففي ضوء ما يرنو إليه شعبنا من آمال وتطلعات كبرى ورؤى بعيدة المـــدى، يبقـــى الاستعداد الدفاعي ضرورياً وينبغي أن يكون على الدوام؛ ويفترض أن يقارنه ابداع وتجديـــد. ولهذا فنحن ندعم بكلّ قوّة الجهود الرامية إلى تنظيم القوات التعبوية. وينبغي أن يؤخذ بنظـــر الاعتبار عمق الفكر والبصيرة في تنظيم هذه القوات. أي على شبابنا الأعزاء أن يكونوا على بيّنة من الغاية التي يرومون الوصول إليها، ثمّ عليهم السعي نحوها بوعي.

من بين الوقائع والأحداث التي تجري في بقاع العالم، هناك ظاهرة اختلاط الحقّ بالباطل، وهنـــاك التسلط والهيمنة الظالمة والشيطانية لأُناس شيطانيين على مقدّرات الآخرين؛ في هذه الأجـــواء، أجواء الاستكبار، أجواء نظام الهيمنة، قلنا مراراً وكراراً أنه قد برز إلى الوجود شـــعب ينطـــق بالحقّ، ويسعى إلى الحقّ، ويتطلّع إلى احقاق حقوق الشعوب، ويهفو إلى تطبيق العدالة. وهـــذا الشعب هو الشعب الايراني الكريم. إنّ الشعب الايراني بفضل الإسلام وبفضل الثورة ملتـــزم بكلمته هذه. ولأجل هذا الصمود الذي يبديه الشعب الايراني، أخذت هذه الأطروحة تتخـــذ موقعها ومكانتها تدريجياً في المنطقة، بل وفي العالم. وهذا ما نلاحظ مجرياته اليوم في المنطقة. وهذه حقيقة ملموسة.

من البديهي أن شياطين العالم لا يكفون عن ممارستهم ما لم ينهاروا. فالحكم السوفيتي المنحـــرف والمغلوط طالما كان قائماً كان مناهضاً للإسلام وللجمهورية الإسلامية، شأنه في ذلك شأن هـــذا النظام الليبرالي الرأسمالي ــ أو الليبرالي الديمقراطي حسب تعبيرهم ــ تعلمون انّهم كانوا مختلَفين في ما بينهم حول مائة قضية لكنهم كانوا متّفقين حول مجموعة من القضايا الأُخرى. ومن القضايا التي كانوا متّفقين حولها، بل على رأس تلك القضايا هي قضية الوقوف ضد نهـــوض الإســـلام وتقدّمه، وضد نظام الجمهورية الإسلامية. إنّ النظام السوفيتي المنحرف الشيطاني قـــد تلاشـــى وولّى، وأن هذا الآخر سيتلاشى أيضاً. إلا انهما ما داما باقيين فإنّهما يستخدمان كلّ ما لديهما من قوّة ويحشدان كلّ قواهما لمجابهة النظام الإسلامي. ولكن لا شك في أن كل مساعيهما هذه لا جدوى منها. إذ ان هذا الطرف إذا صمد وصبر ولم يفقد الأمل وبقي ساعياً وراء أمله، فمـــن المؤكد أن النصر سيكون حليفه. وهذه واحدة من السنن الإلهية. فقد قال الباري عزّ وجلّ وهو أصدق القائلين: «ولينصرنّ اللّه من ينصره» (3) وقال أيضاً: «ان تنصروا اللّه ينصركم»(4).

هناك جبهة تسير على الحقّ، وفي المقابل هناك جبهة تسير على الباطل. اتباع جبهـــة الحـــقّ إذا اعتراهم الخوف في وقتٍ ما فمن الواضح انّهم سيُهزمون. فهُم على الحق ولكنهم يُهزمون. وتارة أُخرى قد يستحوذ عليهم الهلع وينعدم عندهم الصبر، فمن الطبيعي أن يُهزموا. وتارة أُخرى قد يكون لديهم كلام حقّ، غير انّهم لا يعملون بمستلزماته ومتطلّباته؛ فيتكالبون على الدنيا والمادة واللهو، وفي هذه الحالة من الطبيعي أن يُهزموا أيضاً. فالباري عزّ وجلّ لم يوقّع لهم شيكاً علـــى بياض بأنّكم ستنتصرون حتماً لأنّكم على الحقّ. كلا طبعاً، وإنّما يقول لهم إنّكـــم ستنتصـــرون

لأنكم على الحقّ ولأنكم تصمدون. فإن صمدتم وصبرتم فستنتصرون. غير أن الصراع والتحدّي والمناوشات مستمرّة إلى حين حصول النصر النهائي.

يجب أن تكون في داخل كيان النظام الإسلامي دائماً، قوّة دفاعية رصينة، وواعية ومتأهبة لكلّ طارئ. وهذا هو ما يُسمّى بالروح التعبوية. الجيش أيضاً يمكن أن يكون ذا روح تعبوية. وكذلك الحرس الثوري يمكن أن يكون ذا روح تعبوية أيضاً. ووحدات التعبئة التي تمّ تشكيلها انطلاقاً من هذا المبدأ أيضاً، يمكن أن تكون ذات روح تعبوية. والأجهزة الحكومية يمكن أن تكون ذات روح تعبوية. وكذلك أجهزة الأمن الداخلي يمكن أن تكون ذات روح تعبوية. والجهاز الدبلوماسي يمكن أن يكون ذا روح تعبوية. فإن حصل هذا وتحقّق فسيكون النصر مؤكداً وسريعاً. ينبغي أن ننظر إلى الشخص التعبوي بهذه النظرة. ويجب أن ننظر إلى الروح التعبوية بهذه النظرة؛ وأن نحيي ونكرّم هذه الروح جهد المستطاع.

إن من أهم الواجبات التي تقع على عاتق قوات التعبئة وتدخل ضمن النسيج الذاتي للهوية التعبوية هو الذود عن المبادئ الإسلامية المسلّم بها. وهذا ما جاء أيضاً في كلمات الإمام الخميني؛ الذي أكّد على المبادئ الإسلامية التي لا تقبل التغيير. هنا تتبنّى قوات التعبئة دوراً يتعدّى المراحل. فقوات التعبئة تنظر لترى أن الحركة العامّة للثورة والنظام لم تنحرف عن مسارها الصحيح؛ وتراقب لكي لا يحصل انحراف. ومتى ما حصل انحراف فعلى قوات التعبئة أن تقف في وجهه. هذا من الخصائص المرتبطة بقوات التعبئة؛ أي انّها تقف في وجه الانحرافات. فهناك خط مستقيم يمتد نحو الأهداف الكبرى للثورة الإسلامية بلا أيّ انحراف ولا منعطفات. وهذا يأتي انطلاقاً من النظر من أعلى؛ حيث تكون النظرة فوق الأدوار والمراحل؛ أيّ انّها في الواقع فوق الزمان. من المحتمل طبعاً ان تحصل اشكالات في بعض القطاعات، إلا ان الحركة العامّة يجب أن تحافظ على استقامتها. هذه الرؤية هي الرؤية التعبوية.

من الأُمور الأخرى التي ينبغي أن اتحدّث عنها هي ان قوات التعبئة بما ذكرناه لها من الخصائص، تخضع للقوانين واللوائح والقيم المتجسّدة في قالب النظام. يجب أن يحصل ابداع، ويفترض أن يحصل تجديد، وأمّا الانفلات وعدم الانضباط فلا. إنّ البعض يُخطئ حين يتصوّر أن التعبوي هو من لا يخضع للقوانين، ولا يلتزم بالتعليمات واللوائح، ولا يبالي للضوابط السائدة في المجتمع. كلا طبعاً؛ فهذا خطأ. طبعاً إذا كانت الهوية العامّة للتعبئة التي تجسّد وتمثّل ذاتها أحياناً في المجموع

الكلي للنظام ــ وهو ما يشمل القيادة والكيان التشريعي، وما إلى ذلك ــ تلاحظ وجود ضابطة مانعة، فهي تبدّل تلك الضابطة. أيّ انّها تبدّل الضابطة ولا تعمل بلا ضوابط أو خلافاً للضوابط. شاع على الألسن منذ أيّام الحرب ان التعبوي يتحرّك دون كوابح ــ حيث كانوا يقولــون إنّ التعبوي بلا كابح ــ ويعود سبب أمثال هذه التقوّلات إلى أن افراد قوات التعبئــة في ميــادين الحرب وفي سوح القتال، كانوا يصرّون على القيام بالهجوم على العدو، كانوا يريدون الهجــوم مبكّراً. تلك الروح الحماسية وذلك الاندفاع والنشاط الشبابي هو الذي كان يجتذبهم نحو ميادين الحرب. ولم يكن صغار القادة العسكريين على معرفة بالمصلحة في كلّ مكان؛ فكانوا يتحفّظون على ذلك. ولهذا السبب كان هناك على الدوام نوع من المشاحنات على هذا المنوال في مختلف مناطق جبهات الحرب. في ذلك الوقت كانوا يقولون إنّ التعبوي ينطلق بلا كوابح. غير ان هذا الكلام لا يعني ان التعبوي غير منضبط، أو ينبغي أن يكون غير منضبط، أو أن عدم الانضــباط يمثّل قيمة وفضيلة؛ كلا وأبداً. إنّ الانضباط بحد ذاته، والالتزام، والتمسّك بالنظم يمثّل قيمــة. أمير المؤمنين (عليه السّلام) يوصي ولديه قائلاً: «أوصيكما ... بتقوى اللّه ونظم أمركم» (5)، أي يجب أن تكونوا منظّمين، وأن يكون عملكم منظَّماً. فإذا انفرط النظم، وإذا انــتقض هــذا النسق الصحيح، حلّت الفوضى. وهكذا الحال في كلّ موضع ومكان. إنّ النظم يمهّد أرضــية النجاح. والقوّة العسكرية إذا كانت من غير نظم فلا جدوى منها أبداً. وهذه التشريفات الــتي تلاحظونها في الوحدات العسكرية، وهذا الاستعراض والمسير المنتظم والرُتب والزيّ والنظم، لا يُراد من ورائها كلّها الاعتناء بالظاهر، وإنّما الغاية منها تعويد القوات العسكرية علــى الــنظم والانضباط. حين يُقال: يجب ان تسير من هنا، ولا ينبغي أن تضع قدمك وراء هذا الخط خطوة واحدة، فهذا نظم. إنّه لمن دواعي الارتياح اليوم أن هذه الأُمور تُراعى تماماً في قوات الحــرس الثوري، وفي الجيش. فالنظم شيء ضروري. ولو أنّ وحدة من الوحدات العسكرية جُرّدت من النظم، فلن تكون لها أيّة فائدة. افترضوا أنّ اللواء العسكري يتألّف من ألف شخص، والألــف شخص ليس لهم عادة هذه الكفاءة والقدرة. لكن الألف شخص إذا كانوا منتظمين في لــواء، واللواء يُقسّم إلى عدّة أفواج، وكلّ فوج يتألّف من مجموعة من السرايا، وفي كلّ سرية مجموعة من الفصائل، مع وجود آمرين منظّمين، وبحدود معيّنة ومرسومة، إضافة إلى العمل وفق سياقات منظّمة، عندئذ ستكون لهذا اللواء قوّة ومقدرة، في حين أنّ الألف شخص إذا لم يكن لهم مثل هذا النظم ولا مثل هذه السياقات والتعليمات، فهم غير قادرين على النهوض بمهمة. نعم.. ان النظم

على هذه الدرجة من الأهمّية. وعلى هذا الأساس يتّضح ان الانضباط قيمة، وعدم الانضباط ليس بقيمة. وعدم الالتزام بالقانون ليس قيمة، والعمل وفقاً للوائح قيمة. عليهم أن يعوا ذلك. هذا في ما يتعلّق بهذا الجانب، وأما من الجانب الآخر فعلى البعض أن لا يتشبّث ببعض القرارات واللوائح المقيّدة لاستبعاد وتهميش الفعل الابداعي، والممارسات المنبثقة من الروح التعبوية. وهذا هو الجانب الآخر من القضية. فإن لوحظ في وقت ما ان هناك قرارات ولوائح تعيق الحركة وتكبّل الابداع والتقدّم، ينبغي لمن يمكنهم تبديل تلك اللوائح أن يُبدّلوها لإزالة ما ينتج عنها من معوّقات. من ذلك الجانب ينبغي عدم الخروج على القانون ولا تجاوز اللوائح، ومن الجانب الآخر ينبغي إزالة القيود والإرباك الذي تخلقه اللوائح. وعلى الجهات الأساسية في مختلف القطاعات الالتفات إلى هذه الأُمور. وعلى كلّ حال فقد كان هذا جانب من نظرتنا إلى قوات التعبئة.

أقول لكم إنّ مستقبل البلد مستقبل مشرق جداً. فعلى الرغم ممّا كان يريده الأعداء، وما انفكوا يكررون قوله، ثمّ ان الحناجر المغرضة والألسن المدنّسة بأحقادهم تردده من ورائهم، وتطبّل لهم، ثمّ ان البعض يصدّق ذلك بكلّ سذاجة، أقول إنّ انطلاقة الثورة الإسلامية انطلاقة ناجحة؛ وهذا ما تعكسه لنا تجربتنا التي نراها على أرض الواقع. فنحن لا نأتي بشيء من نسج الخيال ولا نريد بناء أوهام ومخادعة أنفسنا بها، كلا، بل ننظر إلى الواقع ونرى أن نظام الجمهورية الإسلامية والشعب الايراني في ظل هذا النظام قد أحرزا على مدى هذه الاثنين وثلاثين سنة، تقدّماً مضطرداً. ثمّ إن هذا التقدّم أبرز وأكثر بكثير من التقدّم الذي تحرزه الشعوب الأخرى. إنّ بعض الشعوب التي يتولّى إدارة شؤونها مدراء كفوؤون، تقوم بإنجازات لا يُستهان بها، إلا أن انطلاقة الشعب الايراني كانت انجح وأكثر توفيقاً ممّا هو موجود ومتعارف في العالم. وهكذا الحال في جميع المجالات والميادين. لقد أحرزنا الكثير من التقدّم.

إن شعبنا يعاني من بعض المشاكل. والتقدّم ليس معناه القضاء على كلّ المشاكل، بل يعني السير نحو التكامل ونحو الأفضل. وهذا ما هو موجود. والحال على هذا المنوال في كلّ الساحات والميادين؛ في المجال السياسي وفي المجال العلمي، وفي مجال التجارب المختلفة في شتّى الحقول، التي يمكن أن تكون نموذجاً يستلهمه المدراء في القطاعات المختلفة للبلد، أو في المفاصل الإدارية الأساسية؛ فهذه التجارب يمكن أن تكون بمثابة العون لهم.

وأمّا الشيء الأهم من كلّ ما ذكرناه فهو التمسّك بالقيم. فالتمسّك بالمبادئ والقيم التي جاءت على أساسها الثورة، شيء في غاية الأهمية. فحسب اعتقادي، وحسب رؤيتي وتشخيصي، إن هذا التمسّك أصبح اليوم أقوى ممّا كان عليه في الماضي. إذ من الطبيعي أن حماس الشبّان كان قويّاً في أوّل الثورة ــ وهو حماس مبعثه لهيب الثورة ــ غير انّه لم يكن ذا عمق في كلّ مكان.

كنت يومذاك على احتكاك وتواصل مع طلبة الجامعات، وكنت أذهب إلى الجامعة مرّة في كلّ أسبوع، وأجيب عمّا كانوا يطرحونه من أسئلة. وهكذا كان الحال أيضاً في طهران وحيثما كنت أذهب؛ حيث كنت أعيش وجهاً لوجه مع أسئلة طلبة الجامعات ومع أذهان طلبة الجامعات. وأمّا اليوم فقدت غدت الرؤى أعمق، وأكثر جذرية، ومنبثقة من رؤية أكثر استيعاباً للمبادئ. يومئذ كان هناك حماس، وحركة، ولقد كانت حركة في غاية النجاح وذات قيمة، وحصلت تضحيات كثيرة. أمّا شبابنا اليوم فهم أكثر عمقاً. إنّ دواعي ذلك الحماس لم يعد لها وجود اليوم، ناهيك عن كثافة الإعلام المعادي، ولكن رغم كلّ ذلك نجد أن شبابنا اليوم على هذا الحال. إنّ البعض يغضّ الطرف عن كلّ هذه الجوانب الايجابية، وينظر فقط إلى السلبيات وإلى الجوانب المعيبة، ولا يرى إلا مواطن الخلل. وهذا خطأ طبعاً. إنّ السلبيات موجودة، ولكن ينبغي النظر هل تلك السلبيات تتجه نحو التعافي والسلامة أم لا؟ فإن رأينا انّها تسير نحو الصلاح والتحسّن، وتسير نحو فهمها، ندرك حينذاك أن العمل عمل ناجح؛ وهذا طبعاً في هذا العالم الذي يشنّ فيه الإعلام هجوماً من كلّ حدب وصوب على شبابنا المؤمنين الطيّبين.

أيّها الشبان الأعزّاء! اجعلوا هذه الرؤية مرتكزاً لحركتكم. حاولوا التأثير في محيطكم. واسعوا إلى زيادة هذا التعمّق. وعليكم بتوسيع الوعي الإسلامي العميق في مجالات عملكم. ومن حسن الحظ أن متطلّبات هذا العمل ومستلزماته متوفّرة اليوم. إنَّ مؤلّفات الشهيد مرتضى المطهري، وكتابات الفضلاء والعلماء البارزين الموجودين اليوم في قم وطهران وأماكن أُخرى، ذات مواضيع ثرّة، ومعارف غنيّة، وهي زاخرة بالروح المعنوية، والجوانب العقلانية، وتتّسم بالدقّة، والرؤية المستقبلية. نوّروا أذهانكم بهذه المعارف وانشروها في ما حواليكم.

بطبيعة الحال يوجد هنا جانب روحي أيضاً إلا وهو الارتباط بالله. عليكم السعي بأقصى ما تستطيعون لتعزيز ارتباطكم المعنوي والروحي بالله العلي القدير. فهذه القضية ذات قيمة عليا.

إنّ نظراتكم الشبابية هذه، ومناجاة الله من القلب، واستغفار، وتهليل وتكبير، واستغاثة بالله، وتضرّع إليه، إذا جاءت منكم أنتم أيّها الشباب، فإنّها تترك تأثيرات كثيرة جداً. فلا تنسوا هذا.

هذه المجالس التي تقيمونها ــ مجالس المعنوية والدعاء وما شابه ذلك ــ حاولوا أن تمزجوها بالمعرفة. فليقترن دعاء كميل بمعرفة مفاهيم دعاء كميل وبمعرفة دعاء كميل؛ وهكذا بالنسبة إلى دعاء الندبة أيضاً؛ وكذا بالنسبة إلى سائر الأعمال التي تقومون بها، إذ ينبغي ان تقترن بها معرفة. وليُستفاد في هذا المجال من العلماء الكرام الصالحين وأصحاب الفكر ــ وهم والحمد لله موجودون.

إن هذه الحركة حركة حليفها التوفيق، وأن الشعب الإيراني بمساعدة هذه الروحيات الشابّة والمؤمنة والتعبوية وذات الفكر الخلاّق سيبلغ قمم الاقتدار العالمي بإذن الله، وينالها. وسوف تركزون راية الإسلام إن شاء فوق تلك القمم. مثلما لم يكن أحد يظن بالأمس أن شعار الإسلام والقرآن والإيمان بمبادئ الإسلام سيُرفع في بلد مثل تونس أو بلد مثل مصر. أنتم اليوم تشاهدون هذه الشعارات ترفع هناك. وإن هذا التوجّه يسير نحو الاتساع إن شاء الله.

اللّهم! بحقّ محمّد وآل محمّد أنزل فضلك ورحمتك وكراماتك عل هذه القلوب الطاهرة النيّرة. اللّهم! بحقّ محمّد وآل محمّد حيثما كُنا في أيّة بقعة من بقاع بلدنا وفي أيّ قطاع من قطاعات هذا البلد، وفقنا للعمل وفقاً لما فيه رضاك. اللّهم! اجعل الهزيمة والدمار على أعداء هذا الشعب. اللّهم! هيّئ لهذا الشعب دواعي العزّة والشرف والافتخار الديني الإسلامي يوماً بعد يوم. اللّهم! احشر الأرواح الطيّبة لشهدائنا الأعزاء مع النبي وأوليائه. اللّهم! احشر الروح المطهّرة لإمامنا الخميني مع أوليائه.

والسّلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته.

---

1 – كليم الكاشاني.

2 – الزلزال: 7.

**3 – الحج: .40**

**4 – محمد: .7**

**5 – نهج البلاغة، الكتاب 47.**